تداوليّة الروابط الحجاجية في تفسير سورة النور عند فخر الدين الرازي.

The pragmatic argumentative connections in the interpretation of Surat Al-Nur according to Fakhr al-Din al-Razi

طالب دكتوراة/ علي تيس
الأستاذ الدكتور: هشام صويلح

قسم اللغة والأدب العربي-جامعة الشاذلي بن جديد الطارف(الجزائر)
مخبر تعليمية اللغات والتواصل في ظل التكنولوجيات الحديثة
a.taisse@univ-eltarf.dz

تاريخ الإيداع: 2024/12/08 تاريخ القبول: 2025/06/29 تاريخ النشر: 2025/09/15

ملخص: تعّد الروابط الحجاجية أحد أهم العناصر التي يوظفها المتكلم بغية بناء نص متماسك من خلال ربط مكوناته بعضها ببعض بغية إنشاء الوظيفة الحجاجية الهادفة إلى التأثير في المخاطَب أو إقناعه. وفي هذا المقال سعينا إلى استنباط وظائف الروابط الحجاجية من خلال بيان الأثر الذي تحدثه هذه الروابط في الكلمات والآيات التي ترد فيها في سورة النور...، وإذا كان علماء التفسير قد استندوا على الظواهر اللغوية عموما والبلاغية خصوصا فقد تطرقوا في كثير من المواقف إلى عامل الربط بين مجموع الحجج أو بين الحجج والنتائج مع بيان دلالاتها بغية الوصول إلى مقاصد القرآن وفهم معانيه.

وفي هذه الدراسة توضيح لدلالة بعض الروابط الحجاجية ودورها البلاغي في "سورة النور" من خلال مُؤلّف "مفاتيح الغيب" للإمام فخر الدين الرازي، وقد سعينا إلى تطويع أدوات المنهج التداولي لبيان العلاقة البلاغية التي تربط الكلمات والآيات القرآنية.

الكلمات المفتاحية: الروابط الحجاجية، السلّم الحجاجي، الحجة، النتيجة.

Abstract:

Argumentative connectors are considered one of the most important elements employed by the speaker to construct a coherent text by linking its components together with the aim of establishing argumentative function, which seeks to influence or persuade the recipient. In this article, we aimed to identify the functions of argumentative connectors by analyzing the effect they produce within the words and verses mentioned in Surat An-Nur. While scholars of exegesis (tafsir) have often relied on general linguistic and rhetorical phenomena, they have also, in many instances, addressed the role of connective elements in linking arguments or connecting arguments to conclusions, thereby elucidating their meanings and contributing to understanding the objectives of the Qur'an.

This study clarifies the semantic value and rhetorical role of certain argumentative connectors in Surat An-Nur, drawing on Mafātīḥ al-Ghayb ("The Keys to the Unseen") by Imam Fakhr al-Dīn al-Rāzī. We have sought to develop tools based on pragmatic methodology to demonstrate the rhetorical relationships that link Qur'anic words and verses.

Keywords: Argumentative connectors, argumentative ladder, argument, conclusion.

مقدمة:

اهتّم علماء العربية بدراسة لغة القرآن الكريم منذ نزوله، فبحثوا في أسلوبه وغيب مفرداته وتميز تراكيبه وقارنوها بلغة العرب شعرا ونثرا، فألفوا في ذلك بواكير مصنفاتهم، وبعد تطور الحضارة العربية الإسلامية تخصص الكثير من العلماء في تفسير القرآن انطلاقا من خلفيته المعرفية والعقائدية التي يتبنّاها، وتوزّع العلماء في ذلك بين مفسرين بالنقل وآخرين بالعقل وآخرين منطلقين من اللغة في جميع مستوياتها؛ النحوية و الصرفية والصوتية والبلاغية ومن أبرز علماء البلاغة الذين اهتّموا بدراسة لغة القرآن الكريم "فخر الدين الرازي" حتى عَدّ بعض العلماء مؤلّفه "التفسير الكبير" أو "مفاتيح الغيب" هو أول تفسير للتفسير الذي يستعمل فيه صاحبه الرأي دون التوقف عند النقل فقط، ومن الأمور التي عُني بها الدرس البلاغي قديما وحديثا مسألة

الروابط اللغوية، فيا ترى كيف تتجلّى الروابط الحجاجية في الآيات القرآنية ؟ وهل الروابط هي نفسها العوامل أم أنها تختلف عنها ؟ وما علاقتها بالانسجام النّصي؟ وما مدى توظيف هذه العلاقة في تفسير القرآن الكريم والوصول إلى مقاصده؟

وانطلاقا من هذه التساؤلات فإنّ هذا المقال يهدف إلى دراسة تداولية الروابط الحجاجية ودورها البلاغي عند فخر الدين الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب (سورة النور أنموذجا) ، من خلال عرض نماذج لبعض الروابط الحجاجية في "سورة النور" وبيان دلالاتها ، وقد أملت علينا طبيعة هذه الدراسة إتّباع المنهج التداولي ، حيث قمنا بتتبّع هذه الظاهرة ودراستها وفق آليات هذا المنهج .

وقد جاءت الدراسة في ثلاثة مباحث تتصدّرها مقدمة وتنتهي بخاتمة جُمع فيها أهم ما خلصنا إليه من نتائج .

1\1 التعريف بمدونة العينة :

لقد شرف كتاب التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي بدراسة واسعة لدى الباحثين ممّا جعل هذا المؤلف أكبر كتبه وأعلاها منزلة وقدرا، كما أنّه حضي بشهرة واسعة بين العلماء والدارسين ويرجع ذلك إلى تنوع مباحثه وسعتها مع تباين الأفكار وشدة الحجج[1]، وقد اعتمد فخر الدين الرازي في تفسيره على الفلسفة؛ لأنّ الفلسفة في زعمه هي أصل العلوم وهي المفسرة لها وللقرآن الكريم[2]، وهذا ما جعله يتعرض لجملة من المآخذ وقد نقل عن أبي حيان أنّه قال في البحر المحيط : "جمع الإمام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولعلّ هذا ما جعل بعض العلماء يشتدّ عليه فيصفه بقوله: فيه كل شيء إلّا التفسير"[3]. وهذا ما جعل ابن خلكان يصفه فيقول: "إنّه أي الفخر الرازي جمع فيه كل غريب وغريبة"،[4] ويشهد للرازي اهتمامه ببيان المناسبات بين الآيات بعضها مع بعض وبين السور أيضا وقد لا يكتفي بذكر مناسبة واحدة بل يذكر العديد من المناسبات في كثير من الأحيان[5]، كما أنّه كان يخالف الكثير من علماء عصره إذ كان يكثر الاستدلال بالعلوم الرياضية والطبيعية، وغيرها من العلوم الحادثة في الملّة وهذا ما لم يعرف في زمانه، كالهيئة الفلكية وغيرها، وكثيرا ما كان يتعرّض لأقوال الفلاسفة فيردها أو يفندها، معتمدا في أدلته على نمط استدلالاتهم العقلية ولكن بما يتفق مع مذهب أهل السنة والجماعة[6].

لقد كثر الكلام حول مذهب الإمام فخر الدين الرازي هل هو سني أو معتزلي أو شيعي، إلّا أنّ الجميع متّفقون على منهجه العقلي الفلسفي المنطقي عند تفسيره للقرآن، وقد ذكر غير مرة أنّه أشعري العقيدة وشافعي المذهب وقد برز هذا التأثر الديني في كتاباته اللغوية.

1\1 التعريف بالتداولية :

يعتبر مفهوم التداولية كغيره من المفاهيم العلمية الأخرى إذ يتباين ويختلف باختلاف المذاهب ووجهات النظر فيه وذلك راجع إلى مرونة هذا المصطلح الذي لم يختص بمجال علمي محدد، إذ تمّ تناول مصطلح التداولية في كثير من الدراسات السميائية واللّسانية وعلم الاجتماع والفلسفة تقول الكاتبة "فرنسواز أرمينكو" لا يمكن أن تكون التداولية درسا مكتفيا على نفسه من خلال أنّها تصدر مفاهيمها في اتجاهات متعدّدة[7]. ومن هذا المنطلق فإنّ جذور التداولية تمتد لتشمل كل من اللّسانين ، والسميائيين ، والفلاسفة ، وأهل الاجتماع ، وعلماء النفس وغيرهم ...

أ_ **التداولية عند الغرب:** أول من استعمل مصطلح التداولية هو (pragmatique) هو "شارل موريس" حيث عرّفها بأنّها "العلم الذي يهتم بدراسة العلاقة بين العلامات ، ومستعملي هذه العلامات"[8] ؛ فالتداولية من خلال هذا المفهوم تدرس اللغة ضمن سياق معين مع مراعاتها للمعنى وعلاقتها بظروف الكلام ، فهي تهتم بالمتخاطبين ومقاصدهم والسياق الذي ترد فيه مع مراعات المقام وكل هذه العناصر مترابطة ومتداخلة في ما بينها، أمّا "ليفانسون" فإنّه ينظر إلى التداولية باعتبارها " دراسة كل مظاهر المعنى من غير فصلها عن نظرية الدلالة"[9]، وإذا تطرقنا للتداولية عند "ماري بلير" و "فرنسوا ريكانتي" فقد نظرا إليها على أنها: " الأمر الذي يعنى بدراسة اللغة في الخطاب وأي مدى يمكن أن تعبر فيه على مقدرتها الخطابية "[10].

خلاصة القول حول هذه التعريفات وإن اختلفت في شكلها العام إلّا أنّ هناك قاسما مشتركا يجمعها يتمثل في دراسة اللغة أثناء الاستعمال وذلك من خلال اهتمامها بالمتكلّمين والسياق دون إهمال الاستعمال العادي للكلام.

ب_ **التداولية عند العرب :** لقد شهد مصطلح التداولية ترجمات عديدة في الوطن العربي منها : البراغماتية ، علم التداول ، علم المقاصد ، المقامية ... ونظرا لتعدد هذه المصطلحات وكثرتها فإنه

كان من الواجب ضبطه في مصطلح واحد ليسهل استقراره في الأذهان وعليه فقد تم تحديد مصطلح هو الأشهر والأكثر شيوعا عند الدارسين وهو ما عرف "بالتداولية" وقد كان أول من وضع هذا المصطلح الباحث المغربي " طه عبد الرحمان" حيث يقول:" وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي براغماتيقا باعتبار دلالته على معنيين : " الاستعمال والتفاعل"[11].

- 3/1 مفهوم الحجاج لغة واصطلاحا :

أ-لغة : أغلب المعاني المشتقة من الجذر (ح.ج.ج) في المعاجم العربية تدور حول الدليل ، والبرهان ، والقصد والغلبة والخصام ، جاء عند ابن منظور في لسانه "الحجة البرهان، وقيل: الحجة ما دوفع به الخصم ...وهو رجل محجاج أي جدل، والتحاجج التخاصم ... وحاجّه محاجة وحجاجا نازعه الحجة"[12]، أمّا ابن فارس فينظر إلى الحجاج كما في معجمه على أنّه: القصد والغلبة، وحاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة"[13]، ومنه فالحجاج لا يخرج عن معنى : التنازع، والتشاجر، والقصد ، والمغالبة. وتستعمل "الحجة "argument"-حسب معجم تحليل الخطاب" أحيانا في معنى "الحجاج"، وتنتمي إلى نفس الأسرة المفهوميّة لكلمة : المُحاجّ أي هو الذي يحتج ، ولائحة الحجج (argumentaire) ، أي مجموع الحجج التي يمكن استنفارها قصد هدف معين"[(14)] . وتقترب من الحجاج- في الدراسات الفلسفية والمنطقية- مصطلحات أخرى ، كالجدال والبرهان والاستدلال...

ب -اصطلاحا: لا تكاد أغلب التعاريف التي جاء بها علماء اللغة في العصر الحديث تخرج عن مفهوم الحجاج الذي قدمه علماء اللغة القدامى والمحدثين . فقد عرفه بيرلمان بقوله: "هو دراسة تقنيات الخطاب المختلفة التي بدورها تؤدي إلى التسليم بما يفرض على الذهن من مسلمات أو تزيد في درجة ذلك التسليم"[15]،ولهذا فقد نبّه بيرلمان "إلى أنّ جلّ العناصر الأسلوبية المختلفة والمتنوعة من شرط، ونفي وتأكيد وعناصر بلاغية - بديعية بيانية معنوية - كلّها تعتبر موجّهات تعبيرية ذات دور حجاجي كبير".[16] وبالإجمال يمكن تعريف الحجاج على أنّه: طرح لعديد من

الحجج والأدلّة التي تتظافر مع بعضها من أجل خدمة نتيجة مقصودة أو غاية متوخاة[17]. أمّا الحجاج عند المحدثين فقد عرّف من منطلقات فكرية متنوعة، تفرعت عنها بدورها، نظريات حجاجية مختلفة، أصبحت تُعتمد في تحليل النصوص والخطابات حجاجيا، فظهرت النظريات الحجاجية ذات التوجه البلاغي التقليدي المؤسسة على مفاهيم "أرسطو"، وذات التوجه البلاغي الحديث الذي يمثله برلمان، وذات التوجه المنطقي أو الفلسفي أو الإبستمولوجي الذي يمثله كل من "جان بليز غريز" و"تولمين" وغيرهما، والاعتماد على نظرية الحجاج في اللغة التي يمثلها "أزفالد ديكرو"[18].

وفيما يلي تعريف الحجاج من منظور الحجاج اللغوي لدى الباحث الفرنسي "أزفالد ديكرو".

ج _ نظرية الحجاج في اللغة عند "أوزفالد ديكرو":

الحجاج في اللغة، نظرية لسانية وضع أسسها اللغوي الفرنسي أزفالد ديكرو(O. Ducrot) سنة 1973، تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنّها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها: "أنّنا نتكلم عامة بقصد التأثير"[19]، وتريد هذه النظرية أن تبيّن أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، وهي الوظيفة اللغوية الأساسية التي تتصدر قائمة الوظائف اللغوية بالرغم من عدم إشارة الدارسين الذين تناولوا موضوع وظيفة اللغة إليها، كبوهار و جاكبسون وغيرهما.. الخ[20].

ويعرَّف الحجاج اللغوي على أنّه تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في انجاز تسلسلات إستنتاجيّة داخل الخطاب، أو يتمثل في انجاز متواليات من الأقوال،

بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر بمثابة النتائج التي تُستنتج منها، وتستخرج الوظيفة الحجاجية للغة، ليس فقط من خلال الوقائع المعبر عنها داخل أقوال الخطاب، كما هو الحال في الحجاج البلاغي، ولكن أيضا بواسطة بنية الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تمّ توظيفها وتشغيلها[21].

وتعتمد منهجية "ديكرو" وأنصاره في دراسة اللغة حجاجيا، على وصف الشواهد اللغوية أو النصية في ضوء رؤية لغوية حجاجية، تركيبا ودلالة وتداولا، من خلال التركيز على مجموعة من المفاهيم الإجرائية، مثل: الروابط والعوامل الحجاجية، والمبادئ والعلاقات الحجاجية، والسلم الحجاجي، والأدلة الممكنة والمحتملة والإبطال، والدليل الأقوى والسياق والمقصديّة، ومراتب السلّم الحجاجية، والنتائج والقوة الحجاجية، والاستعارة الحجاجية[22].

_ 1/2 حجاجيّة الروابط اللغوية في سورة النور من تفسير الرازي:

بما أنّ الحجاج اللغوي هو استغلال إمكانات اللغة من أجل التواصل مع الآخرين، وإقناعهم بوجهة نظر أو رأي أو موقف أو سلوك أو أطروحة معيّنة، من خلال توظيف أدوات لغوية متعددة، فإنّنا سنحاول تحليل سورة النور في تفسير الرازي. معتمدين في ذلك على ما جاءت به نظرية الحجاج في اللغة لـ **"أزفالد ديكرو"** من مفاهيم وإجراءات. ومقتصرين تحديدا على تحليل الروابط الحجاجية.

_ 2/2 الروابط الحجاجية، مفهومها و أنواعها:

يُعرَّف الرابط الحجاجي عند المختصين على أنه " صُرَيْفَة تصل ملفوظين أو أكثر تم سَوقُهما ضمن إستراتيجية حجاجية بعينها"[23]، بحيث تهدف إلى أنّه لا يمكن لأي رابط لغوي أن

يكون حجاجيا، إلّا إذا كان خادما للإقناع، أو في خدمة الدفاع عن رأي أو عن أطروحة ؛ أي أن الرابطَ يكون حجاجيا عندما نستخدمه أداة للحجاج ، أو عندما نقصد أن نحاجج به .

وتتمثل وظيفته في الربط "بين قولين أو بين حجتين على الأصح (أو أكثر) ، وتُسند لكل قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة .

ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، بما أن، إذ...إلخ"[24].

كما ميز الباحثون بين أنماط عديدة من الروابط هي كالآتي[25]:

أ- **الروابط المدرجة للحجج:** (حتى، بل، مع ذلك، لأن...)،

ب- **الروابط المدرجة للنتائج:** (إذن، لهذا، بالتالي...)،

ت- **الروابط التي تدرج حججا قوية:** (حتى، بل، لكن، لاسيما...)،

ث- **والروابط التي تدرج حججا ضعيفة.**

ج- **روابط التعارض الحجاجي:** (بل، لكن، مع ذلك...)،

ح- **روابط التساوق الحجاجي:** (حتى، لاسيما...).

وبعد تبيين أهمية الروابط الحجاجية وأنماطها، نحاول الآن استخراج ما توفر منها في تفسير سورة النور، مع تحليلها وتوضيح قيمتها وعلاقاتها الحجاجية.

فما هي الروابط الحجاجية الواردة في سورة النور؟ وفيم يتمثّل دورها الحجاجي؟.

من بين الروابط الحجاجية الواردة في سورة النوروالتي كان لها دورإقناعي وتأثيري فعّال نذكر:

3/2 : الروابط الحجاجة المدرجة للحجج :

أ : الرابط الحجاجي (الواو):

من الروابط الحجاجية الواصلة بين الحجج المتساندة؛ حيث يقوم بالربط بين الحجج المتساوقة وترتيبها وتقوية بعضها ببعض، من أجل إثبات نتيجة واحدة ولهذا تترتب على سلّم حجاجي واحد وقد وردت في سورة النور في قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * } [النور:4]

في الآية تكرر الرابط الحجاجي _ الواو _للدلالة على تَرْتِيبِ الْجَلْدِ عَلَى رَمْيِ الْمُحْصَنَاتِ وَتَرْتِيبِ الْحُكْمِ عَلَى الْوَصْفِ[26].

تكرّر في الآية السابقة حرف"الواو" ثلاث مرات ليشكلّ سلّما حجاجيا تراتبيا بديعا من خلال استناد لغة القرآن الكريم على مجموعة من الحجج التي وردت حسب شدّة وقوة تأثيرها، من الأقل إلى الأكثر تأثيرا، فبدأ بذكر الجلد ثم ردّ شهادتهم وعدم قبولها ثم وصفهم بالفسق وهو أشدّ من الأولين، وذلك لأنّ الجلد لا يدوم مع المجلود عكس عدم قبول الشهادة والفسق،فعدم قبول الشاهدة للقاذف يظلّ للمستقبل لأنّ القاذف المتساهل في القذف الذي يقذف بدون بيّنة قد دلّ على تساهله في الشهادة فكان حقيقا بأن ترد شهادته[27].

إنّ هذا التدرج الموجود بين الحجج من أجل خدمة النتيجة نفسها، عن طريق رابط لغوي يدل على العطف هو حرف "الواو" كما هو عند الرازي يوضح مدى تفاوت الحجج بين بعضها البعض ولو كانت من أجل خدمة النتيجة نفسها.

ب : الرابط الحجاجي "حتّى": تأتي "حتّى" للتعبير عن انتهاء الغاية وهو الغالب عليها[28]، كما أنّه يضيف معلومة غير متوقعة من أجل تنشيط ذهن المتلقي بغية التأثير فيه[29]، وقد وردت في سورة "النور" في قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْئَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور:38]

معنى الآية هو" كناية عن السراب الذي يرى من بعيد وأنه لما يصل إليه الضمآن لا يجد شيئا ويجد عقاب الله فقط"[30].

يلاحظ في الآية الكريمة وجود الرابط "حتّى" الذي تجلّت حجاجيته في ربطه حجتين متساوقتين تخدمان نتيجة واحدة والمتمثلة في بيان (خيبة وخسارة الكفّار) حيث كانت الحجة البعدية (ح2): {إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا....} أقوى في دلالاتها وتثبيتها للنتيجة المضمرة من الحجة القبلية (ح1):{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُم...} .

ويمكن التمثيل لها على النحو لتالي:

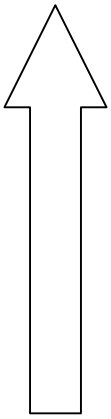

.ن: خيبة وخسارة الكفار

.ح2: {إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا...} .

.الرابط الحجاجي : حتّى .

.ح1: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ ...} .

ونظرا لما سبق نقول أنّ الرابط الحجاجي (حتّى)، يخدم نتيجة واحدة منطلقها من حجتين متساوقتين قبلية، (ح1) وبعدية، (ح2) تنتميان إلى الفئة الحجاجية ذاتها؛ بحيث الحجة الواردة بعده (ح2) أقوى من الحجة الواردة قبله (ح1).

د_ الرابط الحجاجي (ثمّ):

د: الرابط الحجاجي" ثم" رابط من حروف العطف يفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين فضلا عن إفادتها الترتيب بين الحجج[31]، يأتي الرابط "ثمّ" على أساس الترتيب والتراخي ؛ بمعنى أنّ

الثاني يأتي بعد الأول بمهلة وهو أن يأتي المعطوف بعد المعطوف عليه بعد قضاء مدّة بينهما ، وقياس هذه المدّة متروك لما هو متعارف عليه كما يساهم السياق في تحديد مقدار هذه المدّة طويلة كانت أو قصيرة وقد جاء الرابط الحجاجي "ثمّ" في سورة النور في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} سورة النور [43].

جاءت "ثمّ" هنا للدلالة على التأليف من خلال وجوده متفرقا قبل أن يكون السحاب مطرا ينزل إلى الأرض فإنّه ركام في الهواء يؤلف الله بينه وبين السحاب كما أنّ التأليف لا يكون إلا بين موجودين متقدمين."[32]

لقد عمل الرابط الحجاجي "ثمّ" على الترتيب المعنوي في هذه الآية إذ وقع بين أمرين تضمنا كيفية سريان المطر في الكون،فالمطر قبل أن ينزل غيثا هو عبارة عن سحب تتجمّع ثمّ تكون ركاما ثم يسوقه الريح حيث يشاء الله تعالى فيصيب به من يشاء من عباده ويصرفه عن من يشاء، ويمكن التمثيل للرابط الحجاجي "ثمّ" المكرّر في الآية من خلال ربط الحجة الاولى (ح1) بالحجة الثانية (ح2) ثمّ تكرر ليربط الحجة الثانية (ح2) بالحجة الثالثة (ح3) لتتّصل الحجة الأولى بالحجة الثالثة تلقائيا وكل ذلك بغية الوصول إلى نتيجة مشتركة بن الحجج الثلاث، ويمكننا أن نمثّل لها على النحو التالي:

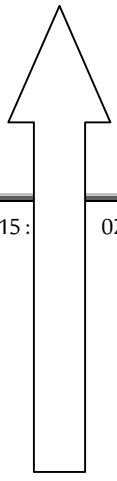

.(ن): { فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ}

.(ح3): { يَجْعَلُهُ رُكَامًا }

. الرابط الحجاجي(2): ثمّ

. (ح2): { يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ }

. الرابط الحجاجي(1): ثمّ

. (ح1): {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا }

من الملاحظ أنّ تكرار الرابط الحجاجي " ثمّ" قد أسهم بشكل واضح في ربط الحجج بعضها ببعض وقد أدّى في الآية إلى ترتيب معنوي في الزمان ليصور حركة المطر في الكون.

_ ه: رو ابط التعارض الحجاجي:

_ ه: الر ابط الحجاجي (لكن):

تعدّ "لكن" من الروابط المدرجة للحجج القوية وقد لقيت اهتماما كبيرا عند كل من "إنسكومبر" و"ديكرو" لما تؤديه من خدمة التعارض الحجاجي، بين ما يتقدمها وما يتلوها إذ أنّ ما يتلوها يخدم النتيجة المضادة، وعليه تكون الحجّة بعدها أقوى من الأولى لتوجه القول إلى النتيجة الثانية باعتبارها مضادة للأولى، وهذا ما عبّر عنه "ديكروّ" و"آنسكومبر" في قولهم: ("لكن" لا يمكن الوقوف على نجاعتها الحجاجية إلاّ عند إدماجها في التخاطب، وتحديدا في أيّ خانة من خانات استعمال اللغة (وصف الواقع، التعبير عن منطق، التحكم في آليات التخاطب)"[33].

يستخلص من ما سبق ذكره أنّ أي خطاب عمد فيه المحَاجج إلى استعمال الرابط "لكن" فإنّه يدحض النتيجة الواردة في الحجة الأولى (ح1) ويثبتها للنتيجة الواردة في الحجّة الثانية، وقد ورد الرابط "لكن" في سورة النور في قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} سورة النور [21] .

ومعنى الأية "لا تتبعو آثار الشيطان ولا تسلكوا مسالكه في الإصغاء إلى أهل الإفك والبهتان وإن كان النهي خاص بالمؤمنين فإنه يتعداهم ليشمل الناس أجمعين".[34]

في الآية حجة لنتيجة مضمرة ألا وهي وجوب طاعة الله عز وجل والامتثال لأوامره ومخالفة الشيطان وعدم تتبّع خطاويه فمن فعل ذلك فقد نال فضل الله عزّ وجلّ وعصم نفسه وأنجاها من النار وأوجب لها الجنّة.

يلاحظ على الآية الكريمة وجود الرابط الحجاجي "لكن" الذي عمل على تقسيم القول إلى قولين، القسم الأول والذي يمثّل الحجة الأولى (ح1) الواقعة قبل الرابط الحجاجي "لكن" {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا ...أَبَدًا}،فهذه الحجة خادمة لنتيجة مفادها (وجوب طاعة الله عز وجل والامتثال لأوامره ومخالفة الشيطان وعدم تتبّع خطاويه فمن فعل ذلك فقد نال فضل الله عز وجل وتزكيته وعصم نفسه و أنجاها من النّار وأوجب لها الجنة)، أمّا القسم الثاني والذي يمثّل الحجة الثانية (ح2) الواقعة بعد الرابط الحجاجي "لكن" { اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ...عَلِيمٌ} خادمة لنتيجة مضمرة تختلف عن نتيجة القول السابق وتوجه المتلقى إلى نتيجة مضادّة مفادها أنّ كثير من الناس لا يزكّيهم الله عز وجل لأنّهم يتّبعون خطوات الشيطان؛ وبالتالي فإنهم يخسرون الدنيا والآخرة ، وبذلك أصبح القول في الآية الكريمة ينقسم إلى: (ح)1 ــ لكن (ح2) ــ ؛ حيث (ح1) تنتمي إلى نتيجة فئة حجاجية تحددها (ن) وجوب طاعة الله عزّ وجلّ والامتثال لأوامره ومخالفة الشيطان وعدم تتبع خطاويه ، في حين (ح2) تنتمي إلى فئة حجاجية تحددها (لا ن) وهي أنّ كثير من الناس لا يزكيهم الله عزّ وجل لأنّهم يتّبعون خطوات الشيطان وبالتالي فإنّهم يخسرون الدنيا والآخرة؛ ومنه فالحجتان لهما وجهتان متقابلتان وهذا ما يسمّى بالتوجيه المضاد ويمكن التمثيل لها بالشكل التالي:

_ وجوب طاعة الله عز وجل والامثال لأوامره

ومخالفة الشيطان وعدم تتبع خطاويه فمن

فعل ذلك فقد نال فضل الله عز وجل وتزكيته وعصم نفسه

وأنجاها من النار وأوجب لها الجنة.

ن

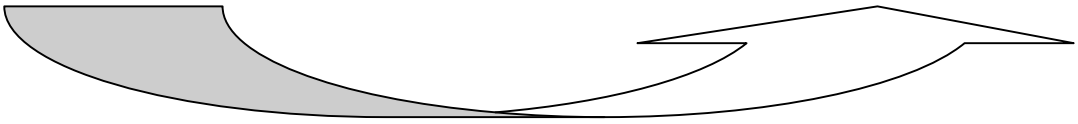

(ح1). لكن .(ح2)

(يا أيها الذين آمنو...أبدا).. .(الله يزكي ... عليم)

خاتمة:

في ختام هذه الدّراسة التي تطرقنا فيها إلى تناول جانب بلاغي مهم، يتعلّق بظاهرة تداولية الروابط الحجاجية في تفسير سورة النور؛ من خلال ضبط معانيها من كتاب "التفسير الكبير" أو ما يعرف بمفاتيح الغيب للإمام فخر الدين الرازي، وانتهينا إلى جملة من النتائج المتعلقة بالمدونة وهي على النحو التالي:

_ يعرّف الحجاج بأنّه دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يفرض عليه من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم.

_ ينتقل المتكلم أثناء محاججته وفق سلم حجاجي تفرضه عليه العملية التخاطبيّة.

_ للروابط الحجاجية دور فعّال في تحقيق الوظائف الحجاجية.

_ تختلف الروابط الحجاجية عن العوامل الحجاجية من خلال كون الروابط تكمن في العناصر النحوية (كالواو، الفاء، لكن...) أمّا العوامل فإنّها تكون في القول الواحد كعناصر تدخل في الإسناد مثل الحصر والنّفي .

._ اهتمت التداولية بدراسة اللغة أثناء الاستعمال شاهدة في ذلك على مقدرتها التخاطبية.

_ في سورة النور تدرّج حجاجي بديع، ينتقل فيه الخطاب من حجة إلى حجة أقوى من خلال نظام صرفي ومعجمي وبلاغي عجيب.

_ تفيد الروابط الحجاجية (الواو، ثمّ، حتّى) العطف ولو اختلفت في معانيها اللغوية.

_ يعد الرابط الحجاجي "لكن" من الروابط المدرجة للحجج القوية التي لقيت اهتماما كبيرا عند بعض الدارسين لأنّها تفيد التعارض الحجاجي، بين ما يتقدّمها وما يتلوها؛ إذ أنّ ما يتلوها يخدم النتيجة المضادّة، لتكون الحجّة بعدها أقوى من الأولى .

الهوامش

[1]ينظر، أحمد هنداوي هلال المباحث البيانية ، دراسة بلاغية تطبيقية تفصيلية ، أميرة للطباعة ،القاهرة مصر، ط 1، 1420هـ، 1999م ، ص35.

[2]ينظر، نزار الأسود، فخر الدين الرازي ، المكتبة الشاملة ، دمشق الشام سوريا ، ط1 ، ص 23.

[3].ينظر، أحمد هنداوي هلال،مرجع سابق، ص 36.

[4]. محمد حسين الذهبي، لتفسير والمفسرون،دن مكتبة وهبة القاهرة 1\ ص209.

[5].ينظر، محمد حسين الذهبي، المصدر نفسه،ص 209.

[6].ينظر، محمد حسين الذهبي،المصدر نفسه 280/1.

_ يقع التفسير الكبير في ثمان مجلدات وفي بعض الطبعات في ستة عشر مجلدا.

[7]. ينظر، فرنسواز أرمينكو المقاربة التداولية ، ترجمة سعيد علواش ، مركز الإنماء القومي الرباط 1986 ، ص 10.

[8].ينظر، فرنسواز أرمينكو، مصدر سابق ، ص 8.

[9].إدريس مقبول ، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، دن جدارا للكاتب العالمي عمان الأردن ، دط عالم الكتب الحديث إربد الأردن 2008، ص 264 .

[10].ينظر، فرنسوا أرمينكو، مصدر سابق، ص 12 .

[11]. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجدبد علم الكتاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، دن بيروت لبنان ط 2000 ص، 27.

[12].ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ط 7 2011م ، باب الحاء ، 2/ ص 779.

[13].ينظر، ابن فارس ، مجمل اللغة ، تح زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ،1986 ،1/ ص221 .

[14]- باتريك شارودو و دومينيك مانغونو ، ت عبد القادر المهيري حمادي صمود ، المركز الوطني للترجمة تونس ، د ن سيناترا ، ص68 .

[15].ينظر ، علي محمد علي سليمان ، الحجاج عند بيرلمان ، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله أنموذجا) ، المؤسسات العربية للدراسة والنشر، بيروت ط1 2010 ص 84 .

[16].ينظر، حافظ اسماعيل ، الحجاج مفهومه ومجالاته -دراسة نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة - ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 2010 2/ 197 .

[17]- ينظر، أبوبكر العزاوي : حوار حول الحجاج ، دن الأحمدية للنشر، المغرب، 2010. ص 82 .

[18]- ينظر، أبوبكر العزاوي : حوار حول الحجاج...ص83 .

[19]- أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج...ص19.

[20]- ينظر نعمان بوقرة : نظرية الحجاج، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق- سوريا ، ص 95.

[21]- ينظر أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج...ص 21 و22.

[22]-ينظر جميل حمداوي : من الحجاج إلى البلاغة الجديدة...ص 43.

[23]- رشيد الراضي : المظاهر اللغوية للحجاج ، مدخل إلى الحجاجيات اللسانية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء- المغرب ، 2014. ص 104.

[24]- أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج...ص 33 .

[25]- ينظر رشيد الراضي : المظاهر اللغوية للحجاج...ص 105 . و ينظر أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج...ص36 .

[26]ينظر، فخر الدين الرازي ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دن دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع، رط 1981/1 ، ج23/ 321 .

[27]ينظر، محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دن الدار التونسية للنشر تونس 1984 ، ص 161 .

[28]ينظر، موسوعة معاني الحروف العربية ، د علي جاسم سليمان دن أسامة للنشر والتوزيع 2003ص 95.

[29]ينظر، مثنّى كاظم صادق ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، ص 98،97.

[30]ينظر، فخر الدين الرازي ، مصدر سابق ج24\399

[31]محمد امعيط، الروابط والعوامل الحجاجية في المناظرة السياسية، ص 67.

[32]ينظر، فخر الدين الرازي، مصدر سابق، ص 404.

[33]عز الدين الناجح العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 19.

[34]ينظر فخر الدين الرازي ،مصدرسابق ج23\347 .

قائمة المصادروالمراجع:

_ **القرآن الكريم (رواية ورش) .**

_ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ط 7 2011 م ، باب الحاء .

_ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ، دن الدار التونسية للنشر تونس 1984.

_ محمد امعيط ، الروابط والعوامل الحجاجية في المناظرة السياسية .

_ أحمد هنداوي هلال ، المباحث البيانية .

_ إدريس مقبول ، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه ، دن جدارا للكاتب العالمي عمان الأردن ، دط عالم الكتب الحديث إربد الأردن 2008 .

_ حافظ اسماعيل ، الحجاج مفهومه ومجالاته - دراسة نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة - عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1 2010 ج 2.

_ شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ، مقال ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية .

_ طه عبد الرحمان : في أصول الحوار وتجدبد علم الكلام ، المركز التثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، دن بيروت لبنان ط 2000 .

_ عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة .

_ علي جاسم سليمان ، موسوعة معاني الحروف العربية ، دن أسامة للنشر والتوزيع ، 2003.

_ علي محمد علي سليمان ، الحجاج عند بيرلمان ، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج (رسائله أنموذجا) ، المؤسسات العربية للدراسة والنشر، بيروت ط1 .

_ ابن فارس ، مجمل اللغة ، تح زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسةالرسالة ، بيروت ، ط 2، 1986 ج1 .

_ فرنسواز أرمينكو المقاربة التداولية ، ترجمة سعيد علواش ، مركز الإنماء القومي الرباط 1986 .

_ مثنّى كاظم صادق ، أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي .

_ نزار الأسود ، فخر الدين الرازي .

_محمد حسين الذهبي ، لتفسير والمفسرون ، دن مكتبة وهبة القاهرة ، ج 1.

فخر الدين الرازي ، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، دن دار الفكر للطباعة النشر والتوزيع ، ر ط 1981/1 ، ج24/23 .